

يخوض ترامب حربين مع إيران، يُعبّر العدد الأخير من مجلة الإيكونوميست عن ذلك بقوله: "يمكن فهم الصراع الذي يُدمّر الشرق الأوسط على أنه حربان متوازيتان. فإنه يُخاطر بتحويل ما كان حتى الآن نجاحاً عسكرياً تكتيكياً إلى فشل استراتيجي ذي عواقب وخيمة على الاستقرار الدولي على المدى البعيد. الحرب الأولى هي حرب الصواريخ والطائرات المسيّرة واستهداف إسرائيل للقيادات الإيرانية، حيث تُقلص الولايات المتحدة وإسرائيل القدرات العسكرية التقليدية الإيرانية يوماً بعد يوم. فقد قلّلت واشنطن حتى الآن من شأن صمود النظام الإيراني، يقودنا هذا إلى الصراع الثاني الذي يتكشف في الممرات الملاحية، وقد أحدثت تحركات طهران لوقف الملاحة في مضيق هرمز، وهو شريان حيوي في النظام الاقتصادي العالمي للطاقة، والذي يطالبها فيه بفتح المضيق بالكامل خلال 48 ساعة وإلا ستعرض لهجمات على محطاتها الكهربائية، وقد يُمهّد تأجيل الرئيس لتلك الضربات لمدة خمسة أيام، لكن ترامب سيفشل إن لم تُفض هذه المفاوضات إلى إزالة قدرات إيران على إلحاق الدمار بجيرانها، ستكون الأسلحة الجيواقتصادية بنفس أهمية المعدات العسكرية في تحديد نتيجة هذا الصراع على جبهتين. يكفيها فقط رفع تكلفة العمل العسكري إلى مستوى يُضعف الإرادة السياسية الأمريكية. بل حتى مجرد الخوف من استخدام هذه الأدوات - قادرة على إحداث اضطراب كبير في الأنظمة القائمة على التنبؤ. لا شيء أكثر قصر نظر من ترك نظام إيراني انتقامي وقوي في السلطة - نظام قادر على إعادة بناء قدراته العسكرية بمرور الوقت وشن هجمات إرهابية، كيف تخرج الولايات المتحدة منتصرة؟ بل يتطلب الأمر ما يصعب تحديده حتى الآن: استراتيجية منسقة من إدارة ترامب تُدرك المخاطر الجسيمة لهذه اللحظة بالنسبة للولايات المتحدة وحلفائها الذين ما زالوا يترددون. كيف ستبدو هذه الاستراتيجية عملياً؟ ستبدأ بتكثيف القوات الأمريكية استهدافها للصواريخ والطائرات المسيّرة والقدرات البحرية التي تُشكّل أساس استراتيجية طهران غير المتكافئة، يمكن اتخاذ هذه الخطوة بالتنسيق مع حلفاء الخليج الذين لم يعد لديهم أدنى شك في أن خصمهم هو إيران، وستقوم هذه الدول بإعادة هيكلة جيوشها وخططها الدفاعية وفقاً لذلك. سيحتاج ترامب إلى اللجوء إلى أدواته الجيواقتصادية المعهودة إذا كان يأمل في كسب الحرب الاقتصادية مع إيران. وكما كتب جوش ليبسكي من المجلس الأطلسي في صحيفة وول ستريت جورنال، فإن هذه الأدوات - من تأمين الشحن إلى مصادرة الأصول - كانت أكثر شيوعاً في النزاعات. رفع ترامب مؤقتاً العقوبات عن النفط الإيراني لتهدئة الأسواق العالمية، فينبغي أن تهدف إلى إرساء نظامٍ مُتغيّرٍ يفتقر إلى القدرة على تهديد جيرانه والولايات المتحدة والاقتصاد العالمي تهديداً جدياً. ربما كان من قبيل التمني أن يدعو ترامب الإيرانيين إلى الانتفاض ضد قيادتهم الاستبدادية، لا سيما بعد أن قتل النظام ما يصل إلى 30 ألف متظاهر في وقت سابق من هذا العام. كما يجب على إدارته التركيز على بناء ما بعد الحرب: بنية أمنية خليجية أكثر مرونة وقوة، يتحد فيها السعوديون والإماراتيون وجيرانهم في قضية مشتركة رغم اختلافاتهم الحتمية. ستحتاج الولايات المتحدة إلى التعاون مع حلفائها الأوروبيين والجهات الآسيوية الفاعلة، لتقاسم عبء ومسؤولية حماية شرايين الحياة الاقتصادية العالمية. من الأجدر بواشنطن أن تعيد اكتشاف القيمة المهملة لبناء التحالفات والتحالفات في إدارة عالم يتطلب فيه استمرار التقلبات كل حليف تستطيع إدارة ترامب حشده.